العمارة الدينية في الجزائر (عمارة المساجد)

الدكتور طرشاوي بلحاج

جامعة تلمسان

المقدمة:

تمثل المباني المعمارية العثمانية عموما والمباني الدينية على وجه الخصوص تراثا معماريا وحضاريا ويمثل ارهاصات مرحلة حاسمة من تاريخ الجزائر، ويعكس السورة المشرقة التي عرفتها المنطقة تحت راية آل عثمان الذين حكموا الجزائر ابتداء من سنة ١٥١٤م، وتعتبر هذه المنشآت من المصادر الهامة التي لا غني لنا عنها من أجل دراسة تاريخ هذه المرحلة دراسة جادة من أجل الوقوف على الهنات واستنباط العبر والعظات.

كان الاعتناء بالمساجد أمرا واضحاً في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، فلا يكاد يخلو حي من مسجد، وكان المسجد يلعب دورا رائدا تدور في فلكه كل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية فكانت تنتشر حوله السكنات والدكاكين والرحبات، وكان الناس يساهمون ببناء المساجد، وتنافسون في ذلك ولم يؤثر على الدولة العثمانية أنها كانت تمول مشاريع بناء المساجد من مال الخزينة.

طراز المساجد الجزائرية:

يمكن أن نحدد طرازين للمساجد في الجزائر:

الأول: وهو الطراز المشرقي، وهو يعرف باسم المساجد ذات الأعمدة والدعامات، التي تنشأ عنها أجنحة وأروقة مغطاة في الغالب بسقف مائل[١]وهو طراز يستمد جذوره من مسجد القيروان ومن وراءه المسجد الأموي بدمشق،

الثاني: وهو الطراز التركي، وهو عبارة عن قاعدة كبيرة مغطاة بقبة.

وظهر هذا الطراز في كنيسة آيا صوفيا ثم صار هذا الطراز، وهو المعتمد في كل بلاد البلقان وأسيا الصغرى، ونقله الأتراك إلي البلاد التي دخلت تحت سلطتهم، ومنها بلاد المغرب الإسلامي واستعملوه في كل عمائرهم.

ويمكن أن نلاحظ أن الأتراك لم يفرضوا هذا الطراز في الجزائر، فنعثر على الطرازين في الجزائر في الفترة العثمانية، ونعثر على الطراز المشرقي في المساجد التالية:

مسجد سيدي رمضان ومسجد خضر باشا ومسجد الكشاش، وهي مساجد سابقة للفترة العثمانية، وكنها تعرضت للتجديد كليا من طرف الحكام الأتراك.

وكانت أغلب المدن الجزائرية تحتوي على عدد من المساجد والمدارس والمؤسسات التعليمية والأضرحة، ويذكر البعض أن مساجد تلمسان بلغ في نهاية القرن التاسع حوالي ستين مسجدا، ونقس العدد من المساجد تقريبا سنجده في كل من قسنطينة وبجاية[٢]

---

(١)gorges marcais: l'art en Algerie ,imprimere jourdan, p132

(٢) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص٣٤

ويذكر هيدو أن مدينة الجزائر كان بها في أواخر القرن السادس عشر الميلادي حوالي مائة مسجد، منها سبعة رئيسية. وفي نهاية القرن التاسع عشر ذكر مؤرخ آخر وهو باناتي(panati) أن المدينة كانت بها تسع جوامع وخمسين مسجدا.

وذكر دوفوكس أن مدينة الجزائر سنة ١٨٣٠م كان بها ثلاثة عشر مسجدا جامعا ومائة وتسعة مساجد، واثنان وثلاثون قبة واثنا عشر زاوية[٣].

ويقع نفس الخلط عند الحديث عن المؤسسات الدينية في مدينة قسنطينة، فقد ورد في سجلات صالح باي أن عدد المساجد بلغ خمسة وسبعين مسجدا وجامعا، يضاف إليها سبعة مساجد تقع خارج المدينة، كما ورد في تقارير متأخرة أن المدينة كانت تضم قبيل الاحتلال الفرنسي خمسة وثلاثون مسجدا[٤].

وكانت المساجد في الغالب تحميل أسماء مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين بينما الزوايا منسوبة للأولياء والصالحين مثل زاوية عبد الرحمن الثعالبي وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري. ورغم شهرة بعض المساجد في الجزائر والدور الكبير الذي لعبته، وضخامة أوقافها ومركزها القضائي، مثل المسجد الكبير فإنه لم يتطور إلي جامعة مثل الأزهر والزيتونة والقرويين[٥]ولم تكن الدولة مسؤولة عن بناء المساجد وإذا بني أحد البشوات مسجدا فكان يبنيه من ماله الخاص، ويحبس عليه الأوقاف من ممتلكاته العقارية والمنقولة[٦].

ولا تدل وفرة المساجد على العناية بها، فقد ذكر بعض المؤلفين أن المساجد في الفترة العثمانية، أن أحمد بن ساسي البوني قد اشتكي إلي الباشا محمد بكداش خراب المساجد في عنابة [٧]. ونفس الأمر ذكره الورتلاني في رحلته حيث أعاب على الأتراك عدم عنايتهم بالمساجد فقد ذكر:"فلا تكاد تري في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث ولا بل ولا مهدما قد جدد، ولا واهيا قد أصلح، بل لو سقط شيء من أكبر مساجدهم فأحسن أحوالهم فيه أن كان مبنيا بالرخام أن يعاد بآجر وجص، وإن كان مجصصا أن يعاد بطين، بحيث تجد المسجد كأنه معرقة فقير هندي فيه من كل لون رقعة، وما أري من حل بمغربنا من الوهن إلا بسبب أمثال هذا..."[٨].

ونتيجة لهذا الانتقاد قام الباي صالح بإحصاء المساجد وأوقافها، وجدد بعضها وأنشأ مجلسا عليما خاصا للنظر في أمورها. وفعل الباي محمد الكبير الأمر نفسه في معسكر، وقام بترميم وبناء مساجد جديدة في كل من تلمسان والعاصمة[٩].

المساجد العثمانية في الجزائر.ويمكن أن نقسم المساجد العثمانية إلي قسيمين:

القسم الأول: ويمثله المساجد التالية، مسجد الجامع الجديد، وأهم مسجد خلفه الأتراك في الجزائر.

القسم الثاني: وتمثله المساجد التالية، مسجد كتشاوة، مسجد علي بتشين، المسجد الكبير بوهران..

---

(٣) نفسه ص ٢٤٥

(٤)نفسه ص ٢٤٦

(٥)نفسه ص ٢٤٤

(٦)نفسه ص٢٤٥

(٧)نفسه ص ٢٤٨

(٨)نفسه ص ٢٤٩

(٩)نفسه ص ٢٥٠

وكانت مدينة الجزائر لوحدها تحتوي على اثنان وتسعون مسجدا، وكان لكل مسجد أكثر من وقف واحد، من أجل تسديد نفقاتها وأغلب هذه الأوقاف كانت موجهة لخدمة الجامع الكبير، وقد أحصيت فوجد بعدد ٥٥٠ وقفا وهي عبارة عن مساكن وحوانيت وحدائق وبساتين(١٠).

وقد وضعت قوات الاحتلال في الخمس سنوات الأولى يدها على سبع وعشرين مسجدا، وإحدى عشر زاوية(١١)

المساجد القديمة في الجزائر : تتميز بسقفها الجملوني، المغطي بالقرميد الأحمر وهو يعوض القباب المركزية التي انتشرت مع مجيء الأتراك وهي إما دائرية أو بيضوية. وأغلب هذه المساجد فقيرة في هندستها وزخرفتها.

مسجد القشاش : تاريخ بناء هذا المسجد غير معروف على وجه التحديد، وأقدم المعلومات المستقاة تقودنا إلي سنة ١٥٧٠/١٥٧١م ، وقد ورد ذكر هذا المسجد في وثائق القاضي على أنه المسجد القديم، مما يدل على أنه من أقدم مساجد العاصمة وقد وردت هذه المعلومة في وثائق متأخرة أحدها يحمل تاريخ ١٦٢٩/١٦٣٠م، ثم اختفت بعد ذلك لتظهر ابتداء من سنة ١٦٣٦م/١٦٣٧م، تحت اسم جامع القشاش. ولا نعثر على ذكر المسجد إلا في وثيقتين متأخرتين:

الأولي:"المسجد القديم المعروف تحت اسم جامع القشاش".

الثانية:".. المنزل الواقع في حي المسجد الكبير المعروف اليوم تحت اسم جامع القشاش.." ويرجع تاريخ الوثيقة إلي سنة ١٧٦٦م. وفي سنة ١٦١٢م تحدث الرحالة الاسباني هايدو عن مساجد الخطبة في الجزائر وذكر منها جامع القشاش قائلا:" المسجد الثاني والذي هو قريب من هذا-يقصد الجامع الكبير-، وقد تم الانتهاء من بناؤه سنة ١٥٧٩م، وقد بناه رجل مغربي اسمه (..caxes)..."(١٢).

والمكان الذي حدده هايدو يدل على أنه لنفس المسجد، لأنه يوجد بالقرب من المسجد الكبير من الناحية الغربية(١٣) أما اسم القصاص، فهو لا شك تحريف لحرف الشين العربي عند مانقله هايدو إلي الأسبانية يضاف إلي ذلك أن مسجد القشاش كان من أهم مساجد العاصمة عندما زراها هايدو، ولم يكن بجوار المسجد الكبير أي مسجد يستحق أن يرد في مؤلفات هايدو. والجدير بالملاحظة أن القشاش إنما أعاد بناء المسجد وتوسعته فقط، فكل الدلائل تدل أنه كان قائما قبل هذا التاريخ، وكان للمسجد عددا من الموظفين، يسهرون على خدمته وأداء الوظائف الدينية. فكان له وكيلا ومؤذنا وإماما وحزابين وكناسا ومشعلا للنور وأربعة موظفين لقراءة الدعاء. وآخر وكيل للجامع كان السيد: قدور بن سيسي، وقد عينه الحاج على باشا سنة ١٢٢٤هـ/١٨٠٨م، ثم صار فيما بعد قاضيا للمالكية في الفترة الفرنسية وكان للمسجد مئذنة صغيرة مربعة.

---

naserddine saidouni: le waqf en Algrie a l,époque ottomane17siecle-19siecle. Kuwait

(١٠) awqaf fondation, p81, 5p88

(١١)Ibid,p88

(١٢)devouloux: les edifices religieux de l'ancient alger, revue africaine n 10,1866,p51

(١٣)Ibid,p51

وابتداء من سنة ١٨٣٠ حول المسجد إلي المستشفي لعدة سنوات، ثم صار ملكا للإدارة العسكرية التي حولته إلي مخزن رئيسي للمستشفيات(١٤)

جامع السيدة: بني هذا المسجد من طرف محمد باشا الذي حكم الجزائر من سنة ١٧٦٥م إلي سنة١٧٩١م. وهو أول مسجد تم تحطيمه من قبل الإدارة الفرنسية من أجل إعادة التهيئة العمرانية لمدينة الجزائر عل النمط الأوروبي (١٥)وذلك سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٧م ولم يبق له أثر ظاهر اليوم، وقد حلت محله الساحة الكبيرة التي تشمل حي باب الواد كله.

ومخطط المسجد يشبه مخطط مسجد علي بتشين، فهو ينخرط تحت قبة مركزية، تقوم على أعمدة ضخمة من الرخام الأبيض وهي من صنع إيطالي. ولم يبق من آثاره إلا السواري الرخامية الموجودة بواجهة الجامع الكبير. وقدر دوفكس عددها بعشرين سارية؛ وهذا يدفع إلي القول أن هذه السواري كانت مجمعة بعدد اثنان أو ثلاثة، على الأقل في الزوايا، وربما كان هناك عدة أروقة في واجهة من الواجهات(١٦). ولم يبق من المساجد أيضا إلا المنبر المستعمل في المسجد الجديد وهو من الرخام الأبيض المزخرف(١٧)وتذكر الروايات التاريخية أن اليهود أوعزوا إلي الجنرال كلوزيل أن المسجد به خزائن أموال الداي، فوسوست له نفسه الاستحواذ على هذه الكنوز فشرع في تدمير المسجد من الداخل تحت جنح الظلام، ثم استولي على جميع مقتنيات المسجد من زرابي وقناديل واحد المنابر المرمرية فلما يئس من الحصول على كنزه المزعوم أمر بتهديم المسجد.

ويذكر حمدان خوجة في وصف المسجد:" كان المسجد يحتوي عدة سواري رمرمية ناذرة الوجود وكانت جدرانه مزخرفة بقطع من الزليج جلبت من أسبانيا، وكان سقفه من خشب الأرز ثم ترك المسجد خرابا(١٨).

كانت جذران هذا المسجد مزخرفة بمربعات الرخام والزليج الصيني المجلوب من أسبانيا أما سقفه فمن الأرز وكذلك أبوابه الداخلية الرقيقة وألواحه الزجاجية الصينية. ولقد تم الاستيلاء على جميع الأشياء المذكورة قبل تهديم هذا المسجد من أجل إيجاد خزنة الأموال المفترضة لداي الترك.

وزارة الزياني ووصفه وصفا جميلا هذا نصه:"و... جمع له أنواع المرمر والرخام، من بلاد الترك والأروام، من كل قائم ومبسوط ومربع ومخروط، ومدرج ومشجر، ومنقوش ومسطر، وخدود وقدوم، وقيام وقعود، وأعتاب وأبواب، وخصص ومحراب، وفي وسطه قبة عظيمة مرتفعة في الفلك، يفزع من لمعان أنوارها في البحر السمك قائمة على سواري لا كصواري، مجردات عواري كالجواري يحاكين في بياض البرد النازل من الكون، كأنهن في القيام، حور مقصرات في الخيام، وجعل لهذه القبة سرا جيب بأنواع البلور الذي لم يري في عصر من العصور يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار وأدار بهذه القباب قبابا على شكل منمق، كأنها جدول موفق، من ثنائي وثلاثي ورباعي وخماسي وسداسي وسباعي والقربض والمشجر، وقاطع ومقطوع ومسطر، وداخل وخارج وبخاريات وقصاعي وأنصاف ترنجينيات، وفوق ذلك من الأصباغ كل لون غريب، بتدبير أهل الحل والعقد والتجريب، وكتبوا أسماء الله وآياته، وأنبيائه وخلفائه تعظيما بالذهب الإبريز الصيان وليس الخبر كالعيان، وأدار بهذه القبة شذورانا من الصود، مموها بأنواع الأطلية الائقة بالألوان يصلي فيه الأمراء والأجناد،

---

(١٤)Ibid,p53

(١٥)gorgesqrcqis, architecture d,ocident, impremerie national, p431

(١٦)Ibid,p431

(١٧) عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ص٥٢٦

(١٨) نفسه ، ص٥٢٧

وأعيان الديوان، عليه أنوار وأزهار وأغصان وأثمار وأطيار وأمامه كشك يجلس به المؤذنون وأهل الألحان والقراءات، ومن له وظيفة المسجد كالموقت والراوي لحديث الإنصات، وجعل لهذا المسجد منبرا من الرخام الشفاف مؤلف من سبعة أنصاف، من مرمر وجزع،.. أبدع فيه كل خارطة صنعه الخراط، وكل ناقش زاد على الشرط، وكل مسطر حقق ما سطر وكل مشجر أبدع فيما شجر... وكسي جدرانه بالزليج والفر فري والصيني وفوقه الجص الفائق والمعدني وجعل في كل جهة رواشن تسطع منها الأنوار مضيئات، وسلاسل مموهة للقناديل وثريات، وجعل تحت كل روشن ساعة على كرسي كالعروس يطرب لسماعها جوانح النفوس، فحاز بلطافة شكله ضخامة المساجد والمدارس... فلو رأيته السليمانية بالقسطنطينية لسلبها، ولو كلمته أيا صوفيا ما أجابها".[١٩]

مسجد كتشاوة: وأقام المسجد حسن باشا سنة ١٢٠٩هـ/١٧٩٤م، وقد انفق عليه من الأموال وجلب إليه من أصناف الرخام والمرمر وما أوقف عليه من الرباع والضياع، مالا تسمح نفس أحد بانفاقه إلا من وفقه الله. وتم تحطيم المسجد سنة ١٢١٨هـ/١٨٣٢م وأقيمت مكانه كاتدرائية القديس فليب. وقد قتل بالمسجد خلق كثير من المسلمين احتجوا على تحويله إلي كنيسة للصلبان، وبلغ عدد القتلي أربعة ألاف مسلم[٢٠].وأقيمت فيه أول صلاة مسيحية هي صلاة عيد المسيح ٢٤ ديسمبر ١٨٣٢ برئاسة الراهب كولان. وأعيد مسجدا تقام فيه الصلوات بعد الاستقلال، وأم الشيخ البشير الإبراهيمي الناس فيه جمعة يوم ١٩٦٢/١١/٠٢. ومخطط قاعة الصلاة عبارة عن فضاء مربع طول ضلعه ١١,٥٠م، تعلوه قبة مثمنة (octagonal) تمتد على واجهاتها الأربعة أروقة، كما هو الحال في مسجد على بتشين، ومقابل جدار القبلة يوجد رواقان، وأقواس الأروقة من الحجارة على هيئة حذوة الفرس وهي منكسرة تقوم على أعمدة من الرخام مستوردة من إيطاليا. كل الأروقة تعلوها قبيبات أغلبها مثمنة الشكل وواحدة نصف دائرية والقبة المركزية تتخللها ثلاثة نوافذ في كل واجة من واجهاتها. كما نعثر بالمسجد على أروقة علوية، تقع فوق الأروقة الجانبية، خصصت لصلاة النساء[٢١].

مسجد علي بتشين: وهو أقدم المساجد العثمانية الباقية في الجزائر، ويقع بحي باب الواد، وقد حول سنة ١٨٤٣ م إلي كنيسة سيدة الانتصارات notre dame de victoire. والراجح كما يذكر جورج مارسي أن المسجد بني بعد سنة ١٦٢٢م، وبناه رجل إيطالي يسمي"PICINO" وكان هذا الرجل يبيع السفن تحت اسم علي بتشين. ومخطط المسجد فريد من نوعه فقلما نجد له نظير في البلاد الإسلامية وله قبة مركزية يحفها رواقان في الجهة المقابلة للمحراب، وهي تقوم على عقود منكسرة وتحملها أربع أعمدة، هذه الأعمدة طمست ملامحها سنة ١٨٤٣ بالأسمنت[٢٢].

ونجد أربعة قبيبات موزعة على الجدارين الجانبين، قاعة الصلاة فضاء كبير مربع، تغطية قبة، وهي محاطة في جوانبها الأربة بأروقة تحمل أربعة قبيبات وهي تشغل الزوايا الأربعة للمثمن، بها نوافذ تسمح بدخول الهواء والإضاءة.[٢٣]

---

(١٩) الترجمانة الكبري: أبو القاسم الزياني، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، المغرب، ص٣٧٥

(٢٠) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص٥٣٠

(٢١)Gorges:marcais: architecture d,occident…,p431

(٢٢)Ibid:427

(٢٣)Rachid Bouruiba ,apports de l,architecture religieuses en Algerie,opu,p224

محراب المسجد يوجد في وسط الجدار الشرقي، وينفتح على قاعة الصلاة بقوس على هيئة حذوة الفرس،أما المنارة المربعة فتقع في الشمال الشرقي، وقد سقط جزءا منها سنة ١٨٦٠م[٢٤].

مسجد شفير (صفر بن عبد الله) :وهو يقع بحي القصبة يحمل اسم مؤسسه، بني سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م، ثم أعيد ترميمه سنة ١١٨٥ م/١٧٧١م من طرف بابا حسن باشا، ثم رمم مرة أخري سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م في عهد حسين داي.

الجامع الجديد بباب البحر: المجاور للجامع الجديد، أنشئ على حساب خزينة سبل الخيرات سنة ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م، في عهد الوالي البكباشي خليل آغا[٢٥]

مسجد القصبة : وتحتوي القصبة على مسجدين

الأول : مسجد القصبة الداخلي وبني في سنة ١٨١٨م/١٢٣٣هـ، تم تحويله إلي كنيسة.

وهو عبارة عن قاعة صلاة صغيرة ذات أعمدة ودعامات مغطاة بسقف مسطح، ولم يبق منه إلا الأروقة الخارجية والمئذنة المثمنة، التي سقط جوسقها[٢٦]

جامع القصبة الوراني :أقامه حسين داي سنة ١٨٢٧م ثم حول سنة ١٨٣٩م على كنيسة sainte croix، وهو لا يزال يحافظ على شكله العام إلا ماطمس من معالمه الداخلية بفعل التحويلات التي حدثت له. ومخطط المسجد بسيط، فهو يتكون من بيت صلاة مغطاة يبلغ طولها ١٤,٤٠م وعرضها ١٢,٣٧م. وهي مغطاة بسقف مسطح يقوم على مجموعة من الأعمدة، وبها أربعة أساكيب وخمس بلاطات، وله مدخلين رئيسيين. ويتوسط بيت الصلاة محراب، تتخذ تجويفته الشكل النصف الدائري. أما المئذنة فهي ذات شكل نصف دائري، وتقع في وسط الجدار الغربي من المسجد[٢٧]

المساجد في قسنطينة:بلغ عدد المساجد في قسنطينة تسعون مسجدا على الأقل، وأغلب المساجد بنيت في الفترة العثمانية. وقد ألحقت بأربعة مساجد زوايا[٢٨].والظاهر أن أغلب مساجد المدينة كانت عرضة للبعث يد الإدارة الفرنسية التي خربت الكثير منها، وحولت أخري إلي مرافق عمومية. السبب الذي أدي إلي فقدان هذه المساجد أصالتها المعمارية والزخرفية، ولم تحافظ في الغالب إلا على اسمها، ولم تسلم من الهمجية إلا بعض المساجد. وخلا الفترة العثمانية تم بناء أربع مساجد وهي":

- جامع رحبة الصوف وقد بناه رجب باي الذي حكم بين(١٠٧٧م-١٠٨٤هـ/١٦٦٦-١٦٧٤م)..
- والجامع الأخضر الذي بناه حسن باي (١١٤٩-١١٦٧/١٧٣٦-١٧٤٥م) في سنة ١٧٤٣م.
- جامع سيدي الكتاني الذي بني سنة ١١٩٠هـ١٧٧٦م من طرف صالح باي (١١٨٥هـ١٢٠٧هـ/١٧٧١م-١٧٨٥م).

---

(٢٤)gorge marcais,obcit, p427

(٢٥) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص٥٣١

(٢٦)gorge marcais,obcit,p431

(٢٧) عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص٥٥١

(٢٨) عبد القادر الدحدوح، ص١٢٣

- جامع سوق الغزل الذي بناه حسين باي بوكيمة (١١٢٥-١١٩٤/١٧١٣-١٧٣٦) وقد بناه سنة ١٧٤١م. وإلي جانب المساجد الجامعة نجد أن مدينة قسنطينة كانت تحتوي على مساجد للصلوات الخمس قدرها الباحث عبد القادر دحدوح بخمسة وثمانين مسجدا.[٢٩]
- مسجد حسن باي بقسنطينة: وقد اختار الفرنسيون أجمل مساجد قسنطينة لتحويلها إلي كنيسة للنصاري، فوقع اختيارهم على هذا المسجد[٣٠].

مساجد الغرب الجزائري:

جامع الباشا: تم تأسيس مسجد الباشا في مدينة وهران عام ١٧٩٦م بأمر من الداي بابا حسن باشا الذي حكم الجزائر من عام ١٧٩١م إلي عام ١٧٩٨[٣١]في أواخر الفترة العثمانية كما تشير ذالك اللوحة التأسيسية التي تتقدم مدخل الجامع ونطالع فيها النص التالي" بسم الله الرحمان الرحيم مسجد الباشا أسس بأمر من سيدي الحسن باشا ١٩٧٦م" وقد تم انشاؤه بعد الفتح الثاني لوهران١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، وهو مسجد جامع كما تبتت إحدى اللوحات التأسيسية المحفوظة بمتحف وهران، وهي لوحة تذكارية منقوشة على الحجر.

يعتبر مدخل جامع الباشا من أجمل المداخل المسجدية، فهو عبارة عن مدخل تذكاري يؤدي إلي غرفة مربعة مغطي بقبة مثمنة ذات زخارف هندسية وآيات قرآنية في أعلاها من الجهات الأربعة وتنتهي هذه الغرفة بصحن المسجد التي تتوسطه نافورة مستحدثة تليها مباشرة عند خولنا إلي الصحن قبيبة أخري أقل منها علوا تغطي النافورة المبنية بالرخام الأبيض. كتب بالخط الكوفي أعلي بيت الصلاة:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً"، ويتخذ الصحن شكل نصف دائري وينفتح في الصحن باب من الخشب الصلب، وهذا الباب يفضي إلي بيت الصلاة، الذي هو مربع الشكل٢٧,٥م×٢٧,٥م فيتكون من خمس بلاطات وسبعة أساكيب تتميز البلاطة الوسطي بأنها أكثر البلاطات اتساعا وتحمل قبة مركزية على نمط قبة جامع القيروان، ترتكز على أعمدة حجرية يحيط بها رواقان، أكبر رواق إلي المركز مغطي بأقبية متقاطعة أما الرواق الثاني فمغطي على طريقة التناوب بقبة صغيرة، فقبو متقاطع وهكذا... يبلغ عدد القباب اثني عشر قبة صغيرة، فتحت في القباب شبابيك ذات تغطية جصية، قوام زخارفها إما أطباق نجمية، أو عنصر زخرفي متأثر بالزخارف العثمانية كشجرة الحياة أو شكل مزهرية تنبثق منها أفرع نباتية مورقة ووردیات، توسط جدار القبلة محراب مضلع مزخرف بزليج حديث تتقدم قبة أصلية تزداد بتربيعات على الزليج العثماني. يحتوي الجامع على دعامات مربعة وأعمدة مزدوجة تحمل عقود بيت الصلاة.

المئذنة: تحتل مئذنة جامع الباشا الزاوية الشرقية الجنوبية لبيت الصلاة وهي منفصلة عن المسجد، يبلغ ارتفاعها ٣١,٥٠ م ونصل إليها بعد المرور على الميضأة، وتتكون من ثلاثة أقسام رئيسية القاعدة المثمنة، البدن المثمن والجوسق الذي أخذ نفس الشكل المثمن.

الجوسق: القسم الأعلى في المئذنة مثمن الشكل يبلغ ارتفاعه ٤,٥٠ م وطول ضلع قاعدته ٨٠سم، يحيط بالقسم العلوي ممر عرضم ١م محاط بشرفة من الحديد يقف فيه المؤذن للآذان. ترتفع الشرفة المثمنة ب١,٠٤م، مسورة بسياج تشبيك حديدي مفرع، يزدادا بزخارف هندسية عبارة عن مربعات ومعينات الشكل. أما زخرفة الجوسق

---

(٢٩) نفسه ٢٠٨

(٣٠) نفسه، ص٥٣٠

(٣١) يحي بو عزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، منشورات البصائر، ٢٠٠٤ ص ٦٧

تكسوا جميع الواجهات الثمانية فهو مقسم إلي جزئيين: السفلي خالي من الزخارف يتراوح طول أضلاعه بين ٠,٧٨م و ٠,٨١م أما العلوي فهو القسم المغطي بالزخارف على شكل معينات من الزليج تتناوب منها الأخضر والأبيض، ويتوج الجوسق قبة مضلعة يعلوها سفود بارز يحمل أربعة كريات يعلوها هلال.

جامع عين البيضاء بمعسكر:(*)جامع الباي محمد الكبير بعين البيضا بمعسكر:

شيد المسجد كما تدل عليه الكتابة الأثرية التي تحف إطار المحراب سنة ١١٩٥هـ/١٧٨٠م، ونصها:" أما بعد أمر بتدشين هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد بن باي عثمان/ انتهي بحمد الله على يد المعلم أحمد بن محمد بن حاج أحساين بن صارمشق التلمساني رحمه الله، في أول ذي القعدة عام خمسة وتسعون ومائة وألف"(٣٢). وقد استعمل هذا المسجد كمخزن للقمح، ثم حول سنة ١٩٠٥م إلي مسجد.

يقع الجامع في وسط مدينة معسكر على بعد ٣٠٠م من السور الشرقي لها على أرض مائلة إلي الشرق كذلك، وقد تم الفراغ من بناءه في أول شهر ذي القعدة عام ١١٩٥هـ الموافق ل ١٩ أكتوبر ١٧٨١م والمهندس الذي أشرف على بنائه وهو المعلم أحمد بن محمد بن صارمشق) التلمساني، سجل تاريخ تأسيس الجامع الكبير في لوحة تذكاريتين من الجص تحيط المحراب"(٣٣).

أما في عهد الاحتلال الفرنسي تحول الجامع إلي مخزن للعتاد العسكري ، وبقي كذالك حتى سنة ١٩٠٥ م، وفي رواية أعيد فتحه للمسلمين سنة ١٩١٠م (٣٤). يتكون الجامع من صحن وبيت الصلاة مربعة الشكل ١٦,٢٠م ×١٦,١٧م تتوسطها قبة كبيرة تشغل كل القاعة ترتكز على ثمانية أعمدة ثنائية، تحيط بالقاعة رواق مغطي وهو الآخر بقباب صغيرة في الجهات الأربعة بأقبية متقاطعة في المساحات المتبقية. ولقاعة الصلاة مدخل واحد على اليمين وزخرف محرابها بنقوش جميلة عليها آيات قرآنية كريمة، وتاريخ، ومن الآيات القرآنية التي كتب عليه قوله تعالي:"**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**"(٣٥). يتوسط جدار القبلة محراب مضلع تتقدمه قبة زينت بزخارف جصبية قومها زخرفة التوريق. أما الرواق الجنوبي فطوله ١٦,١٧م وعرضه ٢,٨١م ، أما الرواق الشرقي والغربي طوله ٦,٢٠م وعرضه ٢,٨٥م

مئذنة الجامع: تقوم المئذنة في الزوايا الجنوبية الغربية لبيت الصلاة يبلغ ارتفاعها حوالي ١٨م، تنقسم المئذنة إلي ثلاث أقسام: القاعدة و هي مربعة الشكل تنتهي ببروزات ركنية أما البدن ثماني الأضلاع وينتهي في أعلاه بدرابزين بسيط مثمن أيضا أما الجوسق فهو ثماني الأضلاع تعلوه قبيبة مثمنة وتنتهي بتفاحات وهلال.

(*)لقد كانت مدينة معسكر عاصمة لبايليك الغرب الوهراني في القرن السابع عشر ميلادي، خلفا لمازونة التي كانت بعيدة بعض الشيء على وهران، من أشهر بايات الغرب باي محمد بن عثمان الكبير الذي يعتبر الباي الثالث والعشرين في مجموعة البايات الذين حكموا بايليك الغرب وقد تولي هذا المنصب منذ عام ١٧٧٨م وبقي فيه قرابة ربع قرن حتي عام ١٧٩٩، الذي سيتم على يده تحرير مدينة وهران والمرسي الكبير عام ١٧٩٢م

(٣٢) دحماني صابرينة ومعروف بلحاج، المساجد العثمانية بالغرب الجزائري، مجلة التاريخية العربية٠ ع٤٣ سنة ٢٠٠١١ ص ٢٢

(٣٣) يحي بوعزاز: المصدر السابق ص٢١٥

(٣٤) بن بلة خيرة: المنشآت الدينية خلال العهد العثماني(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر، ص

(٣٥) يحي بو عزيز: المرجع السابق، ص٢١٦

قاعدة المئذنة: مربعة الشكل وترتفع تقريبا ٣,٧٧م بها فتحة مستطيلة عمقها ٠,٤٩م وعرضها ٠,٢٠م، تزيد إتساعا كلما اتجهت نحو الداخل، ليصبح عرض فتحتها ٠,٨٠م، وهي تستعمل لإضاءة وتهوية الجزء السفلي للمئذنة، ويعلوا المئذنة طنف بارز أو بيروزات ركنية، أما في منطقة انتقال البدن المربع إلى المثمن توجد في الأركان الأربعة زخرفة بارزة عبارة عن ثلاث أصناف كرات، السفلى أكبر من الوسطى والثالثة صغيرة، البدن: يرتفع من سطح بيت الصلاة إلى بداية الشرفة ب ١١,٦٠م يبلغ طول ضلعه ١,٥٣م، فهو بسيط ولا يمتاز بأي زخارف، الجوسق: ينتهي البدن بدرابزين بسيط مثمن أيضا يتوسط الشرفة المثمنة جوسق مثمن الشكل علوه يقدر ٢,٦١م، وطول ضلعه حوالي ٠,٥٠م، مغطى بقبيبة صغيرة، بها سفود يتكون من بدن مخروطي تليه كرة بيضوية الشكل صغيرة الحجم ثم أخرى أكبر بها قضيب مخروطي يعلوه شكل هلال[٣٦]

الجامع الكبير بمعسكر: ويقع على بعد ٣٠٠م غرب جامع عين البيضا، ومساحة المسجد تساوي ١٤٨٥م وأمر ببناء المسجد الباي الحاج عثمان، وبنى بجواره ضريحا دفن فيه فيما بعد، وتوجد كتابة تذكارية تدل على تاريخ بناءه، نصها: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على مولانا سيدنا محمد و وآله/ أما بعد أمر بتشييد هذا المسجد الأعظم المعظم الأرفع أمير المؤمنين/ ناصر الدين عثمان بن زيان بن ابراهيم صاحب ولاية تلمسان العربية/ أيده الله ونصره امين يارب العالمين، وكان الفراغ في شهر رمضان عام اثنين وستين ومائة وألف".

الشكل العام للمساجد في الغرب

أغلب هذه المساجد متواضعة الأبعاد، إذ تتراوح مساحاتها بين ١٤٥٨ متر مربع و٧٥,٦٣ متر مربع.

مساحة مسجد الجامع الكبير بمعسكر حوالي ١٤٥٨م ومساحة جامع عين البيضا ١٠٠٠م ومساحة مسجد الباشا بوهران تساوي ٧٥٠,٧٥م[٣٧].

بيت الصلاة: تتخذ قاعة الصلاة شكلا مربعا أو قريبا من المربع في كل مساجد الغرب الجزائري إذ استثنينا مسجد الجامع الكبير بمعسكر.

جدول يبين أبعاد قاعة الصلاة في بعض مساجد الغرب الجزائري

الجامع	العرض	العمق
المبايعة	١٦,٢٠م	١٦,١٧م
الباشا	٢٨,٦م	٢٧,٦٥م
الكبير	٣٠,٤م	٢٢,٨٠م

جدول يبين أبعاد الصحن في بعض مساجد الغرب الجزائري

الجامع	الصحن	الشكل
عين البيضا	٢٨,٥×٣٠	مستطيل
الباشا بوهران	القطر ٥٠,٢٩	٢٧ .نصف دائري
المسجد الكبير	٧×٢٣,٥	مستطيل

(٣٦) بن اباجي ليلة، المآذن في الغرب الجزائري، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة تلمسان، ٢٠٠٦، ص ٧٧.

(٣٧) بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

مخطط المساجد في الجزائر: المساجد المستطيلة: المساجد في الجزائر ذات شكل مستطيل هي: مسجد صالح باي بعناية ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٨م.، جامع السفير.

مسجد الباشا بوهران (١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م) [٣٨]

جدول يبين أبعاد قاعات الصلاة[٣٩]

المسجد	الأبعاد بالمتر	المساحة بالمتر مربع
الباشا بوهران	٥٢,١×٣٦م	١٨٧٢م
صالح باي عنابة	٤٠,٤م×٢٩,٤م	١١٧٨,٧٦م
الجامع الكبير معسكر	٣٦×٢٣,٢م	٨٣٥,٢م
سيدي رمضان	٥٠×١٠,٥م	٥٢٥م
السفير	٢٦,٤م×١٣,٢م	٣٤٨,٤٨

مخطط قاعات الصلاة: القاعة المربعة: يعتبر مسجد الباي محمد الكبير بعين البيضا المسجد الوحيد الذي يملك قاعة صلاة مربعة، هو ومسجد تفسرة بتلمسان، أما كل المساجد الجزائرية فتملك قاعة صلاة مستطيلة غير منتظمة.

القاعة المستطيلة: وفي هذه الحالة فإننا يمكن أن نلاحظ ما يلي:

١. العرض أكبر من العمق: ونجد هذا الأمر في المساجد التالية: مسجد أبو مروان بعنابة ومسجد القصبة الخارجي وجامع السفير وجامع سوق الغزل وجامع سيدي الكتاني ومسجد صالح باي بعنابة و والمسجد الكبير بعين البيضا.

٢. العمق أكبر من العرض: ونجد هذا الأمر في المساجد التالية: علي بتشين وكتشاوة وعلي خوجة ومسجد الباشا والباي محمد الكبير بوهران[٤٠]

القاعة المستطيلة غير المنتظمة: ونجدها في كل من المساجد التالية: المسجد الكبير بقسنطينة ومسجد سيدي رمضان والجامع الجديد.

جدول يبين أبعاد قاعات الصلاة[٤١]

المسجد	الأبعاد	المساحة
المنصورة	٦٠×٥٥	٣٣٠٠
سوق الغزل	٣٣,٨×١٩,٣	
الجامع الجديد٣	٣٩,٥٦/٣٩,٢٧/٢٤,٥٧٢٣,١٨	٩٣٦
الباشا بوهران	٢٧,٥×٢٧,٣	٧٥٠,٧٥
علي بتشين	٢٣×٢٢	٥٠٦

(38)rachid bourouiba, obcit, p12.

(39)ibid, p17.

(40)ibid, p24.

(41)ibid, p25.

المسجد	الأبعاد	المساحة
كتشاوة	١٨,٥×٢٣,٣٢	٤٣١,٨٨٦
علي خوجة	١٨,١٤×١٨,٧٥	٣٣٦,٨٥
الكتاني	١٥,٣×١٨,٦	٢٨٤,٥٨
جامع السفير	١٣,٢٦×١٧,٧٥	٢٣٢,٩٧
سيدي لخضر	١٥,٣×١٢,٦	١٩٢,٧٨
صالح باي عنابة	١٢,٨×١٤,٦	١٨٦,٨٨
القصبة الخارجي	١٢,٥×١٤,٧٣	١٨٤,٢٥

الأروقة: فقط أروقة مسجد سوق الغزل التي عرضها يساوي ٣,٥م، وهي خاصية لا توجد إلا في هد المسجد بينما يختلف عرض الأجنحة في كل مساجد الجزائر [٤٢]

قاعة الصلاة ذات أجنحة موازية على جدار المحراب: كل الأجنحة في مسجد سيدي لخضر لها نفس العرض[٤٣]. يحتوي مسجد سيدي الكتاني وسيدي الأخضر على ٥ أروقة ٢. قاعة الصلاة ذات أجنحة موازية وعمودية على جدار المحراب: وهي موجودة في مسجدي سيدي أبو مروان ومسجد سوق الغزل[٤٤].

قاعة الصلاة المغطاة بقبة مركزية: ظهر هذا الطراز لأول مرة مع ظهور الأتراك. ويمكن أن نلاحظ أن المهندس الجزائري قد ادخل بعض التغييرات على الطراز العثماني. وفي المساجد العثمانية كانت القبة المركزية كانت تؤطرها أنصاف قباب وأروقة مغطاة بقبيبات. أما في الجزائر فقد اختفت أنصاف القباب وحلت محلها أروقة تعلوها قبيبات، وهي تحيط بالقبة المركزية من الجهات الأربعة.

الباشا بوهران: نجد رواقين تعلوهما قبيبات، وهي تؤطر القبة المركزية من الجهات الأربعة.

علي خوجة: نجد رواق واحد تحيط بالقبة المركزية من جهاتها الأربعة[٤٥].

كتشاوة علي بتشين، السفير، صالح باي، جامع الجديد، لها مخطط لا نجده في أي مكان من العالم الإسلامي. في المسجد الأول والثاني القبة تحيط بها رواقين من الجهة القابلة لجدار القبلة، ورواق واحد من الجهات الثلاثة. في المسجدين الأخرين القبة تقع أمام المحراب ولا نجد إلا ثلاثة أروقة واحدة مقابل جدار القبلة والأخرى على الجهتين اليمنى والشمالية للمحراب. والمسجد الأخير تعطينا قبة مركزية تحفها رواق واحد من جهة المحراب وثلاثة أروقة مقابلة للقبلة [٤٦].

المساجد ذات القبة المركزية

المساجد ذات قبة واحدة: في المساجد ذات القبة الواحدة نجدها قائمة أمام المحراب، وفي وسط قاعة الصلاة أو في نهاية القاعة أو تشغل مركزا جانبيا. المساجد التي تحتوي على قبة مركزية هي: مسجد الجامع الجديد ومسجد علي

---

(42)ibid, p37.
(43)ibid, p47.
(44)ibid, p48.
(45)ibid, p55.
(46)ibid, p60.

خوجة ومسجد كتشاوة ومسجد سيدي عبد الرحمن. وهذه القبة المركزية نجدها في الغالب مرفقة بمجموعة قبيبات عددها أربعة في الجامع الجديد وخمسة قبيبات في جامع علي خوجة وتسعة في مسجد صالح باي بعنابة وأربعة عشر قبيبة في مسجد علي بتشين وواحدة وعشرون قبيبة في مسجد كتشاوة. وهي موزعة على زوايا القبة المركزية أما في مسجد علي خوجة فهي تقع أمام المحراب، وعلى طول جدار المحراب والجدارين الجنوبيين في مسجد علي بتشين وتغطي كل الأروقة وكل الأجنحة في قاعة صلاة مسجد كتشاوة (٤٧)

المساجد ذات قبتين: تملك المساجد الجزائرية التالية قبتين: مسجد سيدي مروان، مسجد سيدي لخضر بقسنطينة، مسجد عين البيضا في معسكر ومسجد الباشا بوهران.

في سيدي لخضر تقع القبة الأولى أمام المحراب، وتقع القبة الثانية في وسط الجناح الأوسط. وفي مسجد الباشا بوهران ومسجد عين البيضا في معسكر نجد قبة أمام المحراب وقبة كبيرة وسط قاعة الصلاة، وفي مسجد الباشا القبة محاطة باثني عشر قبيبة (٤٨)

المساجد ذات الثلاث قباب: نجدها في مسجد سيدي الكتاني ومسجد سيد محمد بالعاصمة، في المسجد الأول القبة تغطي الأروقة الثلاثة الأولى للمجاز القاطع.

المساجد التي لها أكثر من ثلاث قباب: مسجد سوق الغزل: يملك ثمانية عشر قبة (٤٩)

المآذن

موقع المئذنة: تقع مئذنة سيدي لخضر وصالح بايم مسجد القصبة الخارجي في الزاوية الشمالية الغربية من قاعة الصلاة: تقع مئذنة سوق الغزل والجامع الجديد في الزاوية الشمالية الشرقية من قاعة الصلاة.

تقع مئذنة السفير والباي محمد الكبير في وهران وعلي خوجة ومسجد العين البيضا بمعسكر ومسجد الباشا في وهران في الزاوية الجنوبية الغربية من قاعة الصلاة.

وتقع مئذنة سيدي الكتاني والمسجد الكبير بالعاصمة في الزاوية الشمالية الشرقية (٥٠)

شكل المئذنة

المآذن الأسطوانية: ونجد المآذن الأسطوانية في كل من مسجد سيدي الكتاني ومسجد صالح باي.

تملك الجزائر مآذن مربعة، ومآذن قاعدتها مربعة وبدنها مثمن، ومآذن اسطوانية.

المآذن المثمنة: تملك خمسة مساجد جزائرية ترجع للفترة العثمانية مآذن مثمنة octogonale، وهي جامع السفير مسجد الباشا بوهران مسجد القصبة الخارجي مسجد سييدي لخضر ومسجد علي خوجة.

المآذن الأسطوانية. نجدها في كل من مسجد الكتاني وشالح باي.

المآذن العثمانية ذات أبعاد متواضعة، وأصغر مئذنة هي مئذنة القصبة الخارجي ويبلغ ارتفاعها ثمانية أمتار ونصف. أما المآذن الأخرى فلا يزيد ارتفاعها عن ٢٠ مترا. (٥١)

---

(47)ibid, p244.
(48)ibid, p224.
(49)ibid, p225.
(50)ibid, p267.
(51)ibid, p273.

جدول يبين ارتفاع المآذن

المسجد	ارتفاع المئذنة
مسجد الباشا بوهران	٣٢م
جامع الجديد	٣٠م
سيدي أبي مروان	٢٥,٥٠م
جميع السفير	١٦,٧٥م
جامع صالح باي	١٥,٣٤م
سيدي رمضان	١٤,٢٠م
مسجد علي خوجة	١٢,١٠م
مسجد القصبة الخارجي	٨,٥٠م
مسجد اقادير	٢٥,٦٠م
مسجد الكبير بتلمسان	٢٩,١٥

ففي الفترة العثمانية نجد أن طراز المئذنة تختلف عن شكل المآذن الزيانية والمرينية، فقد ابتكر المعماري العثماني شكلا جديدا لا وجود له قبل ذلك في الجزائر فنجد الشكل المثمن كمئذنة جامع الباشا والشكل الأسطواني كمسجد الدار البيضاء بمعسكر فهي مكونة من طابقين، أما تكوينها الداخلي فتتوسطها نواة مركزية مصممة إما أسطوانية أو مثمنة يدور حولها درج صاعد يؤدي إلى أعلى شرفة.

امتازت المآذن العثمانية بالتنوع والابتكار من حيث الشكل ومن حيث الزخرفة نلتمس نوع من البساطة الفنية كما هو الحال في مئذنة جامع الباشا بوهران المزينة ببلاطات من الزليج، وانعدام الزخرفة والنقوش كما هو الحال في مئذنة الدار البيضاء بمعسكر [٥٢]

ملحق الأشكال

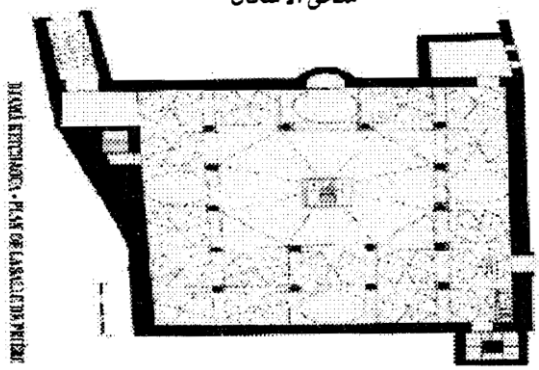

مسقط أفقي لمسجد كتشاوة، عن رشيد بورويبة

(٥٢) بن أباجي ليلى، المرجع السابق، ص ٨٠.

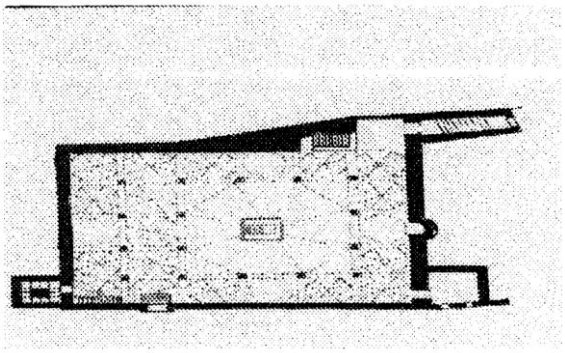

مسقط أفقي لمسجد كتشاوة، عن رشيد بورويبة

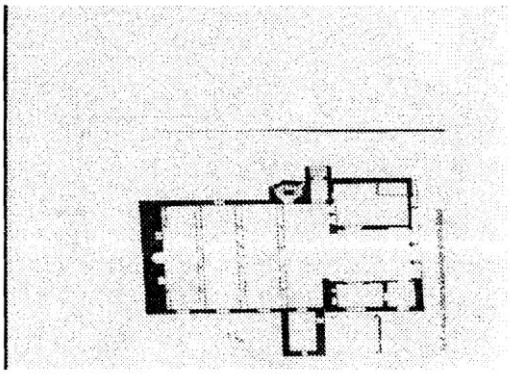

مسقط أفقي لمسجد القصبة البراني ، عن رشيد بورويبة

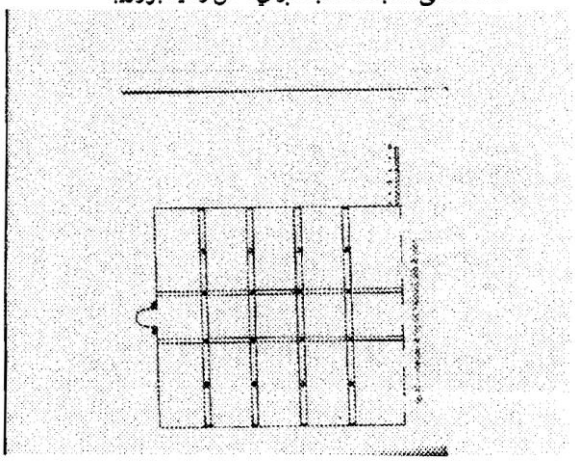

مسقط أفقي لمسجد سيد ي الكتاني عن رشيد بورويبة

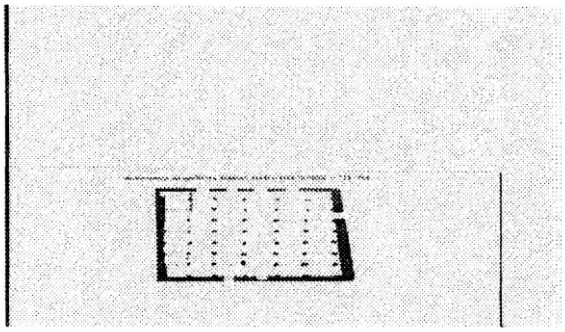

مسقط أفقي لمسجد الكبير قسنطينة- سابق للفترة العثمانية- عن رشيد بورويبة

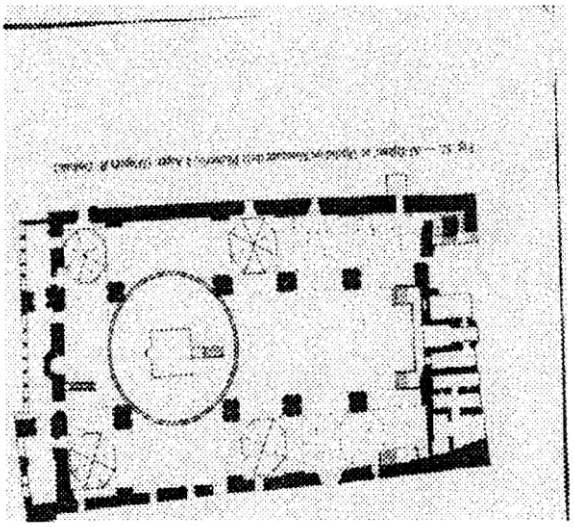

مسقط أفقي للجامع الجديد عن رشيد بورويبة

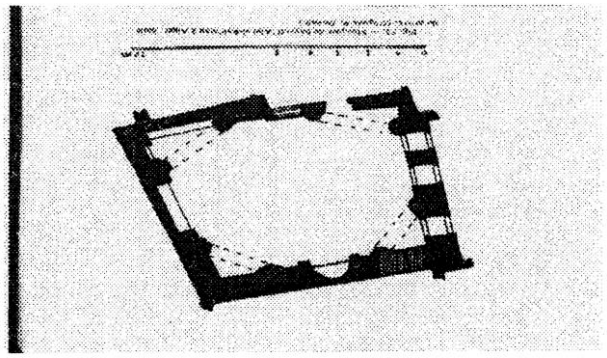

مسقط أفقي لمسجد سيدي عبد الرحمن عن رشيد بورويبة

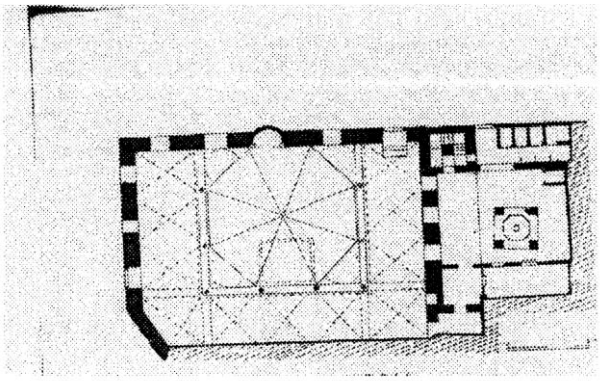

مسقط أفقي لجامع السفير عن رشيد بورويبة

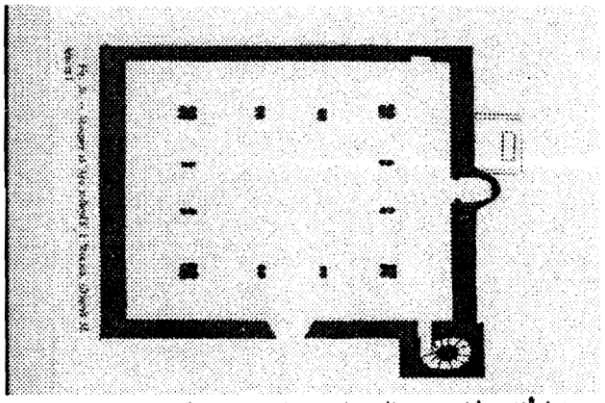

مسقط أفقي لجامع عين البيضا عن رشيد بوروبية

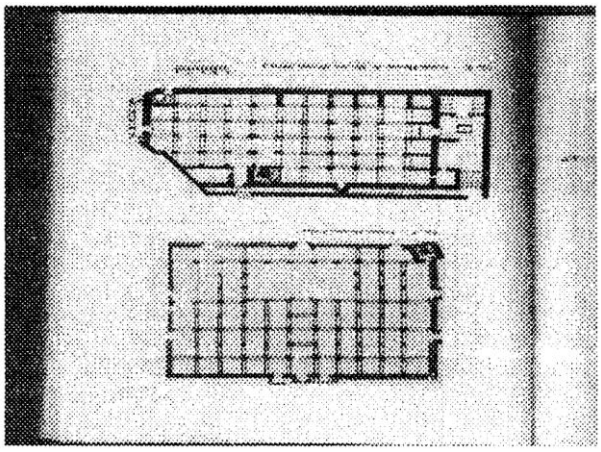

مسقط لجامع الكبير الجزائر ومعسكر
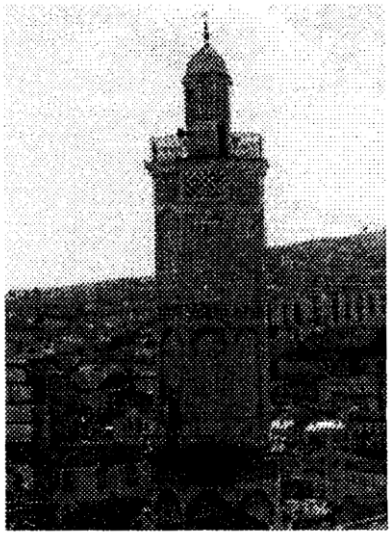
مدخل ومآذن مسجد كتشاوة